الافلام العراقية بين عهدين.. المخرج محمد الدراجي أنموذجاً

ليث عبد الكريم الربيعي

كثيرة هي الأسئلة التي تتبادر إلى الذهن ونحن بصدد السينما العراقية بين عهدين، عهد البعث المقبور وأصنامه السود والتغييرات الدراماتيكية ما بعد ذلك، وهل كان في العراق سينما قبل سقوط نظام البعث؟ وهل كان بمقدور السينمائيين العراقيين داخل العراق أن ينتجوا أعمالا سينمائية معبرة عنهم؟ وإذا كان الجواب نعم فلماذا لم تنتج أية أعمال، وهل قدمت بعد ذلك أفلاما كان العراق حاضرا فيها برفقة سينماه (الجديدة) وكذلك مدى إمكانية أن تطرح تلك السينما ذلك السؤال المحير والمقلق عن واقع العراق ومستقبله وماذا يريد سينمائيو العراق أن يقدموا عبر أفلامهم التي يمكن أن تعتبر بداية جديدة ومغايرة تماما للسينما التي كانت زمن حكم البعث؟ والأهم هنا في قائمة الأسئلة: ماذا يريد المشاهد أن يرى من سينمائيي العراق؟

وقبل الشروع بالإجابة عن كل هذه الأسئلة لابد من الاعتراف بنقطتين مهمتين ،وقد أثرناهما قبلا وفي مقالات مشابهة وهما:-

الأولى: إننا كنقاد وصحفيين ومخرجين ومشاهدين شغوفون لرؤية سينما عراقية.

والثانية: إن جلّ ما قدم ويقدم من أعمال- نخبوية- تعد للعرض لمرة واحدة لا من اجل العيش والتأثير بالمشاهد ،لذلك دائما ما يكون تأثير الفيلم – العربي ككل- تأثيراً طفيفا استهلاكيا ينسى ما أن علمت نهايته.

سينما الحرية

والآن لندخل إلى صلب الحديث ،فالعراقيون أنفسهم يعرفون كم الظلم والحيف الذي لحقهم ولحق مجتمعهم بكل طبقاته في ظل نظام فاشي اعتاد الدمار والخراب لكل ما تقع عليه عيناه و كانت السينما الأولى في مجال الثقافة، بعدما طفق يمول أفلاما تمجد بطولاته الكرتونية ومغامراته الطفولية، خرب فيها ذوق وذائقة الجماهير، وكان السينمائي العراقي أمام أمرين إما الانصياع لنزوات القائد الضرورة المريضة أو الهروب من المواجهة في ليلة ظلماء.

فشهدت الفترة الممتدة من عام ١٩٩١ ولغاية عام ٢٠٠٣،نضوبا شاملا للسينما العراقية، بفعل السياسة العقيمة للنظام المباد وزبانيته الحاكمة، والتي أسفرت عن غياب كامل للسينما العراقية والسينمائيين الذين التجأوا هاربين إلى دول العالم في محاولة لتقديم نتاجاتهم السينمائية، وهي محاولات لم يكتب لأغلبها النجاح، إلا إنها كانت خير عون للسينما العراقية الجديدة التي نهضت من ركام الحرب ومن بين أنقاض دمار مؤسسة السينما العراقية، فجاءت الأفلام العراقية الجديدة طموحة، فارضة نفسها بقوة على ساحة السينما العربية والعالمية، كما شاهدنا في بينالي السينما العربية المنعقد في باريس عام ٢٠٠٥،حيث حَظيَتْ السينما العراقية باهتمام خاص، كان الأول من نوعه من خلال تقديم "لقطة مكبّرة"عنها تضمنت عرض (١٨) فيلماً عراقياً ينحصر إخراجها بين الأعوام ١٩٤٨ و٢٠٠٤. كما خصصت اللجنة المُنظمة للمهرجان ندوة خاصة عن السينما العراقية، فضلا عن الفعاليات والأنشطة الثقافية الأخرى التي أقيمت على هامش المهرجان. وهذه هي المرة الأولى التي يجتمع فيها السينمائيون العراقيون من الداخل والخارج ليتحدثوا عن هواجسهم السينمائية، وهمومهم الثقافية الأخرى بحرية ومن دون رقيب.

في هذا الإطار قدم المخرج العراقي الشاب (محمد الدراجي) تجربتين روائيتين طويلتين الأولى كانت فيلم (أحلام: ٢٠٠٥) والثانية فيلم (ابن بابل: ٢٠١٠)،فضلا عن تجربته التسجيلية في فيلم (حرب، حب، رب، جنون: ٢٠٠٩).

أحلام ..محمد الدراجي!

في عام ٢٠٠٤ عاد محمد الدراجي من محل إقامته في بريطانيا إلى العراق مع مشروع كبير لإنتاج فيلم روائي عراقي. وكانت هذه الرحلة موضوعا لفيلمه التسجيلي الذي قدمه لاحقا (حرب،حب، رب، جنون:٢٠٠٩)، وكان فيلم (أحلام) الأول من نوعه الذي يصور في بغداد مع بدايات تفجر العنف وحوادث الاختطاف التي بدأت تتصاعد شيئا فشيئا في نهايات عام ٢٠٠٤، فضلا عن ملامح الدمار والخراب التي طالت كل شيء، الأمر الذي أضفى على العمل صعوبة أخرى في محاولة استرجاع لحياة الطبيعية للمدينة وإيمانها بالثقافة والفن.

محمد الدراجي حقق معظم ما كان يسعى إليه، فيلم "أحلام" لا يحمل فقط قيمة فنية ممتازة، هو يتجه إلى أن يكون وثيقة عراقية خالصة، حساسة، إنسانية وملهمة عن بعض من تاريخ العراق الحديث.

ابن بابل.. التجربة الثانية!

ينتمي فيلم (ابن بابل) إلى ما يسمى بـ(سينما الطريق) التي يلتقي فيها بطل الفيلم مجموعة من الشخصيات التي تجسد الواقع المعيش بكل حيثياته واختلافاته، وهي تنم عن فكر معمق يقدم مجموعة غير متجانسة من الشخصيات في أمكنة وأزمنة متفاوتة،والمخرج (محمد الدراجي) يمتلك حسا سينمائيا عاليا جديرا بكبار المخرجين، ويفكر أولا في الصورة وتشكيليتها وطبيعة اشتغالها لتصبح كلا واحدا ينتظم فيه جميع العناصر السينمائية.

وتدور أحداث الفيلم في رحلة لاكتشاف آثار ثلاثين عاماً من الدكتاتورية والحرب والاحتلال بحثاً عن السلام في عالم من الحرب والحب والجنون الذي ما زال يمزّق البلاد.

واعتمد فيه المخرج على الوصف الدقيق للمكان أولا وكذلك لشخصياته الرئيسة ثانيا، وذلك لخلق علاقة وثيقة بالكاميرا بين الشخصيات والمكان، وكان لاستخدام الموسيقى المتنوعة التي تناسب الأجواء وتعلق على الحدث دون أن تشرحه أثرا بارزا في إغناء مضمون الفيلم. وعلى الرغم من البناء القصصي للفيلم إلا انه اعتمد الحوار المطول كآلية لإبراز المضامين الكامنة داخل نفوس شخصياته، أما شريط الصورة، فيعتمد على استخدام اللقطات العامة الكاشفة للمكان واللقطات القريبة الكاشفة لملامح الشخصيات وردود أفعالها، إلا أن لغة الفيلم فيها كثير من الأخطاء الجوهرية والتي تعتبر أبجديات في عالم السينما.

وكان فيلم (ابن بابل) قد حصل على جائزة منظمة العفو الدولية بمهرجان برلين السينمائي الدولية، كما فاز بجائزة السلام في المهرجان.

وأخيرا يمكن القول إن السينما العراقية التي نشأت فقيرة، في بستان بسيط في بغداد، وترعرعت في كنف مؤسسة السينما والمسرح، وتطورت بفضل مجموعة واعية من السينمائيين في منتصف السبعينات، أثرت فيها ظروف البلد غير المستقرة، لكنها ستحاول العودة والنهوض من جديد.

كلاكيت

■ علاء المفرجي
aa.m@almadapaper.com

الرحيل من بغداد

أصاب قتيبة الجنابي مرتين في فيلمه(الرحيل من بغداد)، الذي أتيحت لي فرصة مشاهدة عرضه الأول في مهرجان دبي العام الماضي، وعرض في ما بعد بمهرجانات سينمائية أخرى، ومنها مهرجان الخليج السينمائي الذي نال فيه جائزة الفيلم الروائي الطويل.

المرة الأولى عندما نأى بموضوع فيلمه، عن نمط الموضوعات التي درج عليها زملاؤه السينمائيون العراقيون بعد ٢٠٠٣، والتي لم تتعد إطار توثيق واقعة الكارثة العراقية بأبعادها المختلفة بتقريرية ومباشرة، قبل وبعد سقوط النظام.. وهو توثيق استهلكته محطات التلفزة حد الإسراف..

وأصاب ثانية، عندما اختار أن يعالج موضوعته هذه المرة في فيلم روائي طويل، بعد تجارب ناجحة في الوثائقيات والأفلام القصيرة..

اختار الجنابي في فيلمه هذا موضوعاً حرص أن يكون مسحاً لحقبة من التسلط والقمع امتدت لأكثر من خمسة وثلاثين عاماً، ضمنها سيناريو متقن ومحبوك مزج أحداثاً واقعية، بما هو روائي متخيل، وكان أحد أهم عناصر نجاح الفيلم، سيناريو لم يعتمد سرداً متصاعداً للحدث من شأنه أن يقصي عامل الصدمة والتشويق لدى المتلقي، وهو ما يحسب للجنابي خاصة مع استخدام الوثيقة التي أخذت مساحة كبيرة من زمن الفيلم، وقد حاول على قدر ما يستطيع ألا تكون مقحمة .

وموضوعة الفيلم تتلخص بحكاية مصور الدكتاتور الخاص، الذي يعتمده في تصوير مهرجانات التعذيب والقتل السادي التي يمارسها.. ويبدأ الفيلم من قرار المصور الهروب تحت وطأة الخوف من الانتقام، خاصة بعد اكتشاف (تورط) ابنه في نشاط المعارضة اليسارية..

وقد عمد المخرج وبذكاء في أن يمدنا بحقيقة الأحداث بـ (جرعات) تسهم في تطور الحدث واكتمال وضوح دوافع الشخصية الرئيسية في الفيلم . فمن خلال الرسائل التي يكتبها المصور لابنه المغيّب والتي تمجد مسيرته -أي المصور- في العمل مع النظام وإخلاصه في واجبه.. إننا أمام حقيقة رجل يعتاش على الذكريات وهو مسكون بهاجس الخوف والملاحقة التي تبدأ من بغداد ولا تنتهي في أقصى حدود هنغاريا،وهي إحدى محطات هروبه، لنراه أخيرا يتهاوى برصاص ملاحقيه..

لنتساءل هنا هل هي الحقيقة، أم أنها هذيانات رجل أجهز عليه القلق والخوف من المجهول؟!

ولعل قتيبة الجنابي تعمّد أن يثير أسئلة من هذا النوع في فيلمه.. أسئلة هي بالضبط رسم متقن لحالة أعمّ.

فالمخرج في فيلمه الذي لانخطئ بتصنيفه ضمن أفلام الطريق.. يحاول أن يقدم لوحة تسهم تكويناتها في إبراز حقيقة ما حدث، من دون أن يتورط بالمباشرة أو في الموقف المسبق، ولعل استثماره الحاذق للوثيقة ما يؤكد ذلك.

الجنابي في هذا الفيلم مخرجا ومصورا وسيناريست، وبإمكانات ذاتية إلا من دعم مؤسسة المدى ومؤسسة الذاكرة العراقية، وبممثلين غير محترفين.. يقدم درساً في أن عشق السينما من شأنه أن يذلل الكثير من المصاعب في تقديم منجز يحسب لمسيرته الفنية.

السينما التركية تحلق الى العالمية

عادل العامل

حققت السينما التركية في العام الماضي نجاحات ملحوظة على الصعيد العالمي. فقد أفرزت هذه السينما عدداً من الأفلام التي يمكن اعتبارها عالمية حقاً، كما جاء في تقرير إيمراه غولر لصحيفة حرّيت ديلي نيوز التركية. و قد جمع بعضها بين مخرجين عالميين و ممثلين أتراك. كما كان العام الماضي هو العام الذي بدأت فيه السينما التركية تكافح من أجل المزيد من الاعتراف العالمي مع مشاريع طموحة تتناول مشكلات العالم. و كان من تلك المنجزات الفنية فوز الكاتب والمخرج التركي سميح قبلان أوغلو بجائزة الدب الذهبي في مهرجان برلين السينمائي عن فيلمه (العسل Bal)، و قيام مخرجين عالميين مثل النمساوي فيو ألاداغ، و الأميركي ثيرون باترسون، و الألماني بين فيرلونغ، بإخراج عدد من الأفلام التركية و المتعلقة بحياة الناس في البلد و مشاكل المسلمين في أوروبا في العقد الأخير.

فالسينما التركية أصبحت معتادة الآن على الجوائز العالمية المعتبرة. و لن تكن السنة الماضية استثناءً، مع الجوائز المتنوعة التي حصلت عليها أفلام تركية، و أبرزها جائزة مهرجان برلين السينمائي، (الدب الذهبي). و كان عام ٢٠١٠ أيضاً هو العام الذي أصبحت فيه السينما التركية منغمرةً في التعاون الدولي في هذا المجال حين صارت للمخرجين الأتراك شعبيةٌ في العديد من البلدان كما هي الحال في بلدهم ـ بل استخدموا نيو يورك كموقع لتصوير أحد أفلامهم.

و نقدم هنا نظرةً إلى الفائز بجائزة الدب الذهبي و بعض مشاريع السينما التركية ذات العلاقة بالتعاون الدولي.

فقد حلّت اللحظة الأكثر فخراً بالنسبة للسينما التركية، في العام الماضي، حين أعلن فوز فيلم المخرج و الكاتب سميح قبلان أوغلو (العسل Bal) بجائزة الدب الذهبي في مهرجان برلين السينمائي. و كان الفيلم هو الأخير في ثلاثية قبلان أوغلو، مع الفيلمين السابقين (بيضة Yumurta) و (حليب Süt) اللذين فازا بجوائز متنوعة في مهرجانات سينمائية تركية و عالمية. و كان يوسف هو الشخصية الرئيسة في الأفلام الثلاثة، و جرى تمثيل قصته ارتجاعياً في هذه الثلاثة. و راح بنا (العسل Bal) إلى طفولة يوسف و علاقته الجارحة مع أبيه.

و قد أبدى مخرجون أميركيون، و استراليون و ألمان اهتماماً بتركيا و الشعب التركي في ثلاثة أفلام ملهمة في السنة الماضية. ذلك أن فيلم (غيمة قاتمة Bahtı Kara) لثيرون باترسون، و هو مخرج و كاتب أميركي يعيش في تركيا، وضع محوراً له رجلاً يتّسم بتدمير الذات أو النزعة الانتحارية و يحاول التغلب على صدمة موت زوجته. و آل الأمر بهذا العمل المزيج من الدراما العائلية و الكوميديا السوداء لأن يفوز بجوائز أفضل فيلم، و سيناريو و ممثل في مهرجان (طريق الحرير) السينمائي. و قد أثّر الفيلم بهيئة التحكيم و المشاهدين معاً بشخصياته الفائقة القدرة، و تمثيله المتين، وحواره الداخلي dialogue المرتجَل.

بينما نجد فيلم المخرج النمساوي فيو ألاداغ، (عندما نغادر Die Fremde) يحكي قصة أوماي Umay ، و هي امرأة تركية تعود جذورها إلى ألمانيا، و مثّلتها سيبيل كيكيلي، فتاة الملصقات بالنسبة للمهاجرين الأتراك في السينما، و ذلك في أداء جدير بالجائزة. و يدور الفيلم حولَ امرأة تركية تهرب من زوجها المخيف عائدةً إلى عائلتها في برلين، فقط لتجد أن الطريق الصعبة التي تفرضها التقاليد على امرأة تركية عازبة هي نفسها أينما ذهبت.

أما فيلم المخرج الألماني بين فيرلونغ، (باسم الله)، فقد غاص في المشاكل التي يواجهها المسلمون في أوروبا في العقد الأخير. و قد تعمّق الإنتاج الألماني ـ التركي المشترك ليكون مشكلة متكررة بالنسبة للأتراك المقيمين في أوروبا : مخادعات الاستثمار التي تضع مدخرات العمر عرضة للخطر و اختفاء المستثمرين و معهم مقادير ضخمة من الأموال. و قد مثّل في الفيلم أرهان أيمر شخصية رجل يودع أمواله في استثمار إسلامي، مقنعاً الناس الذين من حوله بالقيام بالشيء نفسه، ليجدوا أنفسهم صفر اليدين بعد أن أفلست الشركة و اختفى مديروها عن الأنظار.

■ عن: Hurriyt Daily News

بورصة الافلام

الأسد الملك يحتل صدارة إيرادات الأفلام في أمريكا

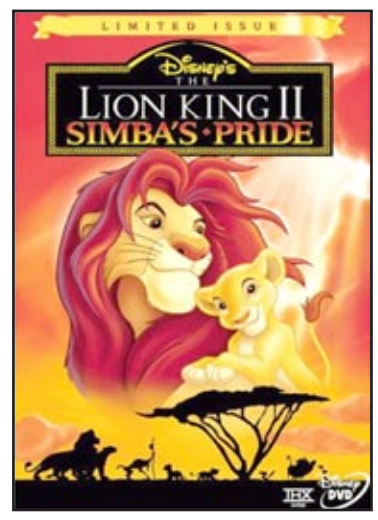

المدى/ رويترز

اعتلى فيلم الرسوم المتحركة عالية التقنية "الاسد الملك" Lion King صدارة ايرادات الافلام في امريكا الشمالية مسجلا ٢٩,٣ مليون دولار. ويقوم بالاداء الصوتي للفيلم كل من ماثيو برودريك وروان اتكنسون.

وتراجع فيلم "العدوى" Contagion من المركز الاول الى المركز الثاني بايرادات سجلت ١٤,٥ مليون دولار. الفيلم من اخراج ستيفن سودربيرج وبطولة مات ديمون وكيت وينسلت وجود لو.

واحتل الفيلم الجديد "المطاردة" Drive المركز الثالث مسجلا ايرادات قدرها ١١ مليونا. الفيلم للمخرج نيكولاس ويندنج وبطولة ريان جوزلنج وكاري موليجان.

كما تراجع فيلم "المساعدة" Help من المركز الثاني الى المركز الرابع ليجمع ٦,٤ مليون دولار. اخرج الفيلم تيت تايلور ويقوم ببطولته كل من ايما ستون وفيولا ديفيز واوكتافيا سبنسر.

واحتل الفيلم الجديد "عصابة تشارلي" Straw Dogs المركز الخامس مسجلا خمسة ملايين دولار. الفيلم بطولة جيمس مارسدن وكيت بوسوورث واخراج رود لوري.